قراءات الكتب

التطرف
من "إدارة التوحش" الى "فقه الدماء"
في التمدد الفكري والجغرافي للقاعدة وداعش

كتاب صادر عن دار امنة للنشر والتوزيع/ المملكة الأردنية الهامشية/ 2023

تأليف: د. علي احمد عبد مرزوك

قراءة بقلم: م.د. احمد حسين الربيعي
عضو هيأة تحرير/ المجلة العلمية لجهاز مكافحة الارهاب

قراءة في كتاب

التطرف

"من "إدارة التوحش" الى "فقه الدماء
في التمدد الفكري والجغرافي للقاعدة وداعش

كتاب صادر عن دار امنة للنشر والتوزيع/ المملكة الأردنية الهامشية/ 2023

قراءة بقلم

تأليف: د. علي احمد عبد مرزوك
م.د. احمد حسين الربيعي
عضو هيأة تحرير/ المجلة العلمية لجهاز مكافحة الارهاب

كثرت الرؤى الفكرية والمطارحات الفلسفية خلال السنوات الأخيرة حول التطرف ومظاهره وارتباطاته المفهومية وتنوع مصادره واشكاله، وتنوعت خلفية تلك الرؤى والمطارحات فهناك الاعمال الفكرية التي تظهر في شكل تحليل فلسفي، وهناك الاعمال التي تنطلق من المعرفة المتراكمة في مجال علم النفس وخصوصاً فيما يتعلق ببناء وتطور الشخصية، ومظاهر الامراض النفسية، ثم هناك رؤى وأفكار في حقل العلوم السياسية ترصد وتبحث أسباب مظاهر التطرف وانتقالات المفهوم ومدى تأثيره في المجال العام السياسي، ورصدت العديد من تلك الجهود التغيرات التي تحدث على ظاهرة التطرف لتوضيح المتغيرات المترابطة بهدف تحديد الأسباب والنتائج بغية إيجاد البدائل في السياسات التي تتخذها الحكومات لمناهضة الظاهرة وقطع جذورها.

والتطرف ظاهرة لها بعدها التاريخي وتطورت مع تطور المجتمع البشري، وهي قضية معقدة ومركبة قديماً وحديثاً، وبواعثها ايضاً كثيرة ومتنوعة ومتداخلة، بعضها قريب وبعضها بعيد، بعضها مباشر، وبعضها غير مباشر، وبعضها واضح ماثل للعين، وبعضها غائز في الأعماق، ووصفت ظاهرة التطرف المنتجة للإرهاب بالتزمت الفكري، والتشدد الديني، ثم اتخذ أنصارها مواقف دينية وسياسية واجتماعية، اسفرت عن عدائها للمجتمع ومؤسساته مما أدى الى تهديد منظومة التعايش السلمي للمجتمعات فضلاً عن تهديد منظومة الأمن وتخريب مؤسساته، وان الإرهاب المولود من رحم الفكر المتطرف يعد

اخطر الظواهر الإجرامية التي عرفتها المجتمعات الحديثة لما يمثله من تهديد للفكر والعقيدة والكيان السياسي والحضاري للشعوب، وباتساع مفهومه اضحى من أبرز التحديات والمهددات الأمنية والاجتماعية في العالم لما له من تأثيرات بعيدة المدى على الإنسانية كافة، كونه يتخذ صورا وأشكالا وصيغا متعددة تهدف إلى ترويع فرد أو جماعة أو دولة بغية تحقيق أهداف لا تجيزها القوانين المحلية أو الدولية أو الأعراف الاجتماعية والدينية السائدة.

واستأثر التطرف بالعديد من النقاشات والجدالات والمواقف المتضاربة والمتعارضة، وكان لافتاً في هذا السياق مخرجات التطرف – الإرهاب – على نحوٍ سيئ، من خلال الصاق مفهوم الإرهاب بالدين الإسلامي، وبمطلب بناء "الدولة الإسلامية" المُتخيلة في اذهان العديد من التنظيمات الإرهابية كالقاعدة وداعش، وارتباط مفهوم الجهاد بالحرب على المخالفين، خصوصاً الذين كانوا يعتدون على الدين الإسلامي والمسلمين في مرحلة الدعوة المحمدية الأولى او بعدها، وسيق بشأن هذا الموضوع العديد من الاساطير، الى درجة ان هناك من يرى ان الإسلام مرادف لمفهوم الجهاد الذي تتبناه تلك الجماعات المتطرفة، زيادة على ذلك اخذ مفهوم التطرف بالتشتت بين مفاهيم ومصطلحات كثيرة، آلت الى تركيز جهود علمية نحو فك اللبس عن تلك المفاهيم وتمييزها عن التطرف، في الوقت الذي نحتاج الى قطع دابر هذا الفكر تحولاته الإرهابية .

وإن تبيُّن الأسباب الجذرية للتطرف المؤدي إلى الإرهاب عملية مُعقَّدة تتطلب تقدير الفوارق الاجتماعية/ الثقافية والسياقية المرتبطة بمشهد العولمة السريع التطور، فالتطرف متعدد الأوجه – وفقاً لتعدد أسبابه وما تفرزه من أنماط واشكال للتطرف – وتؤججه فضاءات افتراضية عديدة ومترابطة، وهو يقترن بظروف تاريخية وسياسية وجيوسياسية واقتصادية واجتماعية محددة يمكن ان يظهر فيها التقنين العقائدي والايديولوجيات المتطرفة، ويمكن ان تشمل الأسباب الجذرية للتطرف ايضاً قبول وتطبيع التفاوتات الاجتماعية، ورفض التسامح، ومشاكل الصحة النفسية، والجاليات والمجموعات المنفصلة، ولكن من المهم ادراك ان دوافع التطرف تتجاوز المفاهيم السطحية المتمثلة في الافراد المحرومين في حقوقهم والمنفصلين عن محيطهم، ولاسيما في سياق الشباب، مع التسليم

ان التطرف مُستوحى من مجموعة متنوعة من الأيديولوجيات اكثر مما كان يفترض في الماضي، مما يؤدي الى تفاقم التحديات التي تواجه المؤسسات الحكومية وبرامج الوقاية المحلية، ما يستوجب استيعاب آلية التحول نحو التطرف المؤدي الى الارهاب .

ومن هذا المنطلق اعتمد الباحثون في تحليل ظاهرة غرس التطرف وصناعة الإرهاب على عدد من التفسيرات، تختلف في درجة عمقها ومنظورتها، فبعضها يسير في اتجاه إعطاء الأولوية للبنيات والبيئة السياسية المساعد على تنامي الأفكار المتطرفة، والدور الذي تؤديه البيئة النفسية والاحساس بالمظالم في جعل الفرد قابلاً للتحول نحو التطرف العنيف* ، وهناك تفسيرات أخرى تركز على مراحل ومسارات التطرف، بحسبانها سلسلة او حلقات مترابطة، وفي هذه الدراسة سنركز على آلية الانتقال من الفكر (التطرف) الى الفعل (الإرهاب)، عبر استراتيجية افتراضية لعمل التنظيمات الإرهابية.

ونظراً لحجم المخاطر التي ينتجها التطرف على المنظومة الأمنية الحاضنة للتعايش السلمي في الدولة، تأتي هذه الدراسة لتفكيك إشكالية التطرف في العراق بعد العام 2005 وصولاً الى العام 2022 وإبراز تأثيراتها على الأوضاع الثّقافيّة العراقيّة وبنية الأمن، اذ تركت التنظيمات المتطرفة حالة من التفسخ والانحلال في المجتمع العراقي، فضلاً عن تركات تمثلت بالصراعات الحادّة خرجت عن حدود الطّبيعيّ والمألوف، وباتت تهدد ليس فقط حالة الاستقرار الثّقافيّ، بين أفكار وقيم متباينة بين المجموعات الاجتماعيّة المتنوعة وحوامل انساقها الثقافية بمختلف مشاربها (الدّينيّة، واللّغويّة، والعرقيّة . . الخ)؛ وإنّما ايضاً على حالة الاستقرار الأمنيّ الحاضنة للتعايش، وإنّ التّراكمات الّتي سببها التَّطَرُّف وجدالات الانقسام التي تمتدّ وتترسّخ وتتمثّل بحروب عقليّة داخليّة تطيح بكلّ سياسات التّعايش والتكامل الوطني القائمة على الوسطية والاعتدال وقواعد المنافسة الثّقافيّة والحوار والتّسامح الفكريّ والتّوافق على مشتركات ثقافيّة وطنيّة، وإن تفكيك وتحليل ظاهرة التَّطَرُّف المنتجة للارهاب في العراق وتراكماتها على حالة الأمن والتعايش وما سببته من اثار جعلت المجتمع والدولة في موضع الهشاشة؛ تدعونا الى طرح سياسات أمنيّة مجتمعية ملائمة لمعالجة هذه الظاهرة.

على ذلك ان انتشار التَّطَرُّف ومانتج عنه من إرهاب هو نتيجة منطقيّة لوجود أزمة هوية عميقة، ولا يعني ذلك أنّ التفاوتات الاجتماعيّة والاقتصادية في مرتبة أقلّ في تعزيز التَّطَرُّف، ولكنّها تصبح اكثر خطراً عندما توجد في إطار بيئة ثقافيّة حاضنة، ومجتمع هشّ، تسودّ فيه الولاءات الأوّليّة، وتفتقر إلى أدنى أسّس التعايش الاجتماعيّ المبني على فلسفة أمنية معاصرة.

كل ما تم ذكره واكثر تم معالجته في هذا الكتاب، معالجة مفهوم التطرف وصلاته المفهومية وتوضيح حالة الانتقال من الفكر (التطرف)، الى الفعل (الإرهاب)، فضلاً عن ذلك وضح سمات الشخصية المتطرفة وكيف يمكن تحليلها وفقاً لمختبرات التحليل النفسي، وحلل المؤلف ايضاً كيفية صناعة المتطرف وفقاً لسرديات داعش في الكتب التي يعتمدها تنظيمي القاعدة وداعش من إدارة التوحش الى فقه الدماء، في حين وضح الباحث خرق السيادة العراقية أي التمدد الجغرافي للتنظيمات الإرهابية بعد عام 2003، ووضح اهم انعكاسات التطرف والإرهاب على المجتمع والدولة العراقية، في حين طرح جملة من السياسات والمعالجات لمكافحة التطرف ووليده الإرهاب في العراق، واختتم الكتاب بجملة من الاستنتاجات والتوصيات.